الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B.P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

الادارة

شارع سوريا ـ راس الخندق الغميق ـ بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في اميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية او ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة

الانطلاقة العربية في الحقل الثقافي

بقلم الدكتور عبد العزيز الدوري

ان الحقل الثقافي وثيق الصلة بجوانب الحياة الاخرى يتأثر بها ويؤثر فيها، ولذا لن يستقيم الحديث عن التوثب الفكري الا باظهار مدى الصلة والتفاعل بينه وبين الحياة العامة .

وحين نستعرض تاريخ العرب الحديث نرى ان بدايات التنبه والحركة ظهرت في اطار الفكر اولا ، وكان للتحديات الخارجية والداخلية دورها الواضح في سير الفكر وفي القلق او التوثب الذي ساده .

ويلزمنا مبدئيا ان نلاحظ ان بداية التنبه كانت ذاتية منبعثة من ظروف المجتمع العربي ، وأساسها دعوة للعودة الى الاسلام الاول ، الذي حفل بالحيوية والابداع ، ونبذ الانحرافات والترسبات التالية . ولم تمر فترة طويلة حتى جاءت الموجة الغربية وادخلت عنصر التحدي ، وجابهت المجتمع بالخطر الخارجي . وتمثلت في سلسلة تحديات رافقت الغزو الغربي باشكاله ، مما لم يشهد مثله من قبل. وكانت ردود الفعل والتأثيرات تتباين باختلاف درجة الوعي والتنبه الفكري .

ومع اننا نرى في كل حركة وتطور دليل نشاط ذاتي ووعي داخلي ، الا اننا نؤكد اثر التصادم السياسي والحضاري في تاريخ العرب ، ونرى ان اخصب فترات الانتاج كانت فترات الاحتكاك بالحضارات الاخرى او الاصطدام بها لانها تستثير كل القوى الكامنة . وهذا ما حصل في العصر الحديث . وبضوء ذلك نستطيع ان نلحظ ثلاث مراحل كبرى من التحدي الغربي . هزت المجتمع العربي ودفعته الى التفكير جديا في اوضاعه .

اولها الغزو الفرنسي لمصر بقيادة نابليون ، وكان ذلك انذارا بالخطر الجديد واشعارا بالقوة الغربية . وتلاه توسع النفوذ المباشر خلال القرن التاسع عشر والتغلغل الفكري بطريق الارساليات والمدارس .

وكان التحدي الثاني الكبير في العقد الثاني من القرن العشرين ، حين دخلت جل البلاد العربية تحت الاستعمار او الانتداب الغربي.

ثم كان التحدي الثالث في كارثة فلسطين وفي العدوان الثلاثي على مصر ، وفيه بلغ التحدي الغربي للبلاد العربية ذروته .

واؤكد هنا ان الوعي العربي لم يظهر نتيجة لغزو نابليون او متصلا به كما ظن الكثيرون بل ان مقوماته متأصلة في كيان العرب ، ويتمثل خلال تاريخهم في اتجاهين ، الاتجاه الاسلامي والاتجاه الثقافي العربي . وكان الاتجاهان قوتي التكوين والبناء والتوسع للامة العربية . وكان الاتجاهان متلازمين احيانا ، بينما سارت حركة التعريب منفردة في بعض الجهات ، وتوسع الدين الاسلامي وحده في جهات اخرى .

ولنعد للموضوع . لقد شهدت الفترة الاولى بداية التوثب نتيجة التنبه الذاتي في نطاق الاسلام ، ونتيجة الاحياء الثقافي العربي . وكانت الوجهتان متداخلتين فترة من الزمن . ففي الخط الاسلامي نجد من يريد العودة الى الاسلام الاول وابعاد الرواسب والانحرفات التالية — وهذه وجهة الوهابية والسنوسية والحركات المتصلة بها — وهي تتضمن سد الابواب في وجه الموجة الغربية . ولا يخفى ان مناطق انتشار هذه الحركة تجعل الاتجاه مفهوما . وهناك من شعر بالخطر السياسي الغربي ، وادرك اهمية العلم والاقتصاد الغربي فاراد بث الوعي السياسي وتكوين جامعة اسلامية مع مكافحة المادية والتحلل الغربي ليقف المجتمع في وجه الخطر (كما فعل الافغاني) . ثم تدرج الى اهمية الاخذ من العلم الحديث ، واظهار مرونة الاسلام وملاءمته للتطور الحديث ، وفتح باب الاجتهاد والتوسع فيه ، والتأكيد على العربية وعلى الثقافة التي تسترشد بالاسلام — كما فعل محمد عبده وجماعته —

وطبيعي ان تظهر في هذا الخط وجهة عربية ، وان نجد من يدعو لنهضة العرب ولخلافة عربية لتتحقق نهضة الاسلام، بل ويتدرج من ذلك الى رابطة المواطنة او الجنسية بين العرب ، وبهذا يلتقي بالاتجاه الثاني ، اتجاه الفكرة العربية . ومن المنتظر ان يظهر هذا الخط الاسلامي في بلاد تعرضت للموجة الغربية اكثر من غيرها مثل مصر .

وتمثل الوعي العربي في اتجاه عربي ثقافي يستند الى رابطة اللغة والثقافة ، وقد دخلت عوامل كثيرة في تكوينه منها النهضة الثقافية واللغوية في مصر وسورية في القرن التاسع عشر ومنها اثر حملة الاتجاه الاول في عنايتهم بالعربية والتأكيد على دور العرب ، ومنها التفاعل مع الاراء الغربية . وتدرج الاتجاه في انطلاقه في الربع الاخير من القرن التاسع عشر من الدعوة الى اصلاح الاوضاع واللحاق بركب الحضارة ضمن النطاق العثماني ، الى الدعوة الى حكم ذاتي داخل هذا الاطار ، ثم الى الدعوة للثورة والاستقلال والوحدة في اسيا العربية . ورافق كل ذلك تغن بامجاد العرب واستشارة للهمم عن هذا الطريق والتأكيد على التاريخ المشترك . وصحبت ذلك كله نبرة عاطفية لازمت الوعي العربي حتى نهاية الثلث الاول من القرن العشرين . وراى اصحاب هذا الاتجاه التفوق الغربي في القوة والانتاج ، في العلم والاقتصاد ، ودعوا الى الاخذ منه واقتباس بعض حضارته .

وهناك فئة اندفعت كليا وراء الحضارة الغربية ووقفت منها موقف المقلد وكان لها اثرها الايجابي والسلبي ولكنها لا تعنينا في دراسة التوثب الفكري في مداه البعيد .

وتتميز هذه الفترة بأن نطاق الوعي فيها كان محدودا لا يتعدى القلة من المثقفين والمفكرين .

اما المرحلة الثانية فشهدت طغيان الموجة الغربية سياسيا ، ورافقها فرض النظم والمؤسسات الغربية ، او تقليدها على نطاق واسع ، في ظروف من فقدان الحرية السياسية وغيرها . وقويت وجهة من يدعو الى تقليد الغرب ، وتطرف البعض حين تنكروا لكل قديم ودعوا الى نبذ التراث والى تكوين مجتمع على شاكلة المجتمع الغربي. هذا وتخللت في هذه الفترة مفاهيم بعض المذاهب الاجتماعية والسياسية ، كالديموقراطية والشيوعية .

وكانت هذه فترة تركز وتطور في الاتجاهات السابقة. اتجه الوعي العربي الى مكافحة الاستعمار ، وانصب الفكر على هذه الناحية،واعتبر المساوىء الاجتماعية والاقتصادية والخلقية ناجمة عنه ونادى بأن التحرر سيؤدي بطبيعة الحال الى تحسين الاوضاع .

وبدت اوليات الشعور بالذات ، فدعا القوميون الى اخذ جوانب من الحضارة الغربية كالعلم والاقتصاد والنظم البرلمانية ، والى اخذ خير ما في التراث العربي . واتجه الاهتمام الى العلم وقوى التيار العلمي . لئن شهدت الفترة السابقة تكوين الجمعيات الفكرية والسياسية ، فان هذه شهدت نشأة الاحزاب ومساهمتها الفعلية في الحياة العامة .

اما في الاتجاه الاسلامي ، فحصل رد فعل ضد طغيان الموجه الغربية اجتماعيا ، وظهرت الدعوات لبث الثقافة والمفاهيم الاسلامية ، والى مقاومة المد المادي . وانتهت الفترة بدعوات الى العوده للاسلام الاول كنظام شامل للحياة (كما في حركة الاخوان المسلمين) .

ويتمثل في الفكر العربي خطوط تتصل بهذه الوجهات ، منها التيار الادبي ، الذي يؤكد على المبادىء الخلقية والمثل العربية والاسلامية، ومنها التيار المادي الذي يؤكد على المظاهر والمؤسسات المادية المقرونة بتهكم بالمثل والقيم . ولم يكن الخط الاول الا تأكيد الجانب من التراث في حين ان الثاني تأكيد لمظاهر الحياة الغربية .

ولكن الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لم تجد الا صدى خافتا في الفكر ، حتى جاءت الحرب الثانية وانفتحت الابواب على التيارات الغربية والشرقية . وسبق ذلك انتشار التعليم انتشارا ملحوظا ، كما تخلصت بعض البلاد العربية من الاستعمار المباشر وتكونت كيانات تتصل بالغرب بشكل او بآخر وتتأثر بتوجيهاته ، وبان التباين الاجتماعي ، ورافق ذلك ثقة تتبين في الاتجاه لفحص الذات والوجهة من جديد ، وبانت تباشير مرحلة جديدة ، وبدأ التحسس بالمشاكل الاخرى .

ولكن كارثة فلسطين كشفت الكيانات السياسية في حين ان الخط الماضي من الوعي العاطفي استنفد امكانياته، كما بان ركود القيادات والاحزاب المألوفة بالقياس للمد الشعبي المتزايد ، وكان لا بد من دفع جديد . وهنا تقدم العسكريون للميدان ليشغلوا الفراغ الداخلي الذي اوجده عجز السياسيين،وليستفيدوا من قوى المثقفين والجماهير، وحدثت سلسلة انقلابات عسكرية تمخض بعضها عن وجهة ثورية ، ولم يكن للبعض الاخر اثر جذري .

ولننظر الى الفترة الثالثة ، وهي الفترة الثورية ، لنفحص نطاق التوثب الفكري في بعض خطوطه الرئيسية، كالخط القومي والخط الاشتراكي والخط الاسلامي .

اتجه كثير من الكتاب الى دراسة القومية العربية ذاتها ، والى اعادة النظر في مفاهيمها بضوء التطورات والخبرات المكتسبة . وقد صدر كراس(١) يعرف بمؤلفات صدرت في الفترة ١٩٤٣ — ١٩٥٩ ، تتصل بالقومية ، ومع انه لم يكن جامعا تماما ، الا انه يعطي فكرة حسنة . فقد ذكر واحدا وثلاثين كتابا ، عن القومية بصورة عامة ، وعشر كتب عن « القومية والوحدة العربية » واربعة عشر كتابا عن القومية العربية والاسلام واربعة عشر كتابا عن «القومية العربية والشيوعية » وتسعة كتب عن « القومية العربية والانفصالية » وثمانية كتب عن «القومية العربية والحركات الحزبية » . وقد صدر عدد غير قليل من الكتب حول

Fahim I. Qubain - Inside the Arab Mind 1961

القومية بعد ١٩٥٩ وبصورة خاصة عن الاشتراكية . ولعل هذه العناوين تعطي فكرة عن الاتجاهات والمشاكل الرئيسة التي شغلت المفكرين القوميين .

ولنا ان نتساءل عن هذه الظاهرة . ويبدو لي ان هناك عوامل عدة ، منها ان القومية العربية اجتازت مرحلة الرومانتيكية لتدخل مرحلة نقد ذاتي ، ولتتجه الى تركيز اسسها . كما انها خرجت من مرحلة التجزئة في الفكر القومي ، وهي مرحلة كانت تنظر الى التحرر السياسي وتعتبره كل شيء ، الى مرحلة النظر الى جوانب الحياة المختلفة ، سياسية وغيرها ، ككل متماسك . وقد انتبه المفكرون الى ان القومية العربية مرت بأزمة شاملة ، بسبب انتشار الوعي وازدياد عمقه ، وظهور تيارات تدفع الى تحول واسع ، فانعكس ذلك في الكتابات القومية . هذا وكان لانتشار مبادىء واتجاهات خارجية ، خاصة خلال الحرب الثانية وبعدها ، دورة في قيام صراع فكري وتوثب استوجب اعادة النظر في المفاهيم السابقة .

وكان لدخول مصر في الميدان العربي بصورة فعالة ، واتخاذها الفكرة العربية ، ودعمها للوجهة القومية بموقفها المتحرر ، أثر اكسب الحركة القومية ثقة جديدة بذاتها

وتبين للقوميين بعد الحرب العامة الثانية وبعد التحديات الجديدة وخاصة كارثة فلسطين والعدوان الثلاثي على مصر أهمية وضع فلسفة واضحة للقومية العربية . وهذا يتمثل الى حد ما في اتخاذ القومية العربية موضوعا من موضوعات الدراسة العالية في بعض الجامعات والمؤسسات .

واول اتجاه يبرز بوضوح هو الشعور بالازمة . ازمة الوجود العربي ، وتأكيد الاتجاه الثوري في الفكر القومي . وهنا يرد تعبيرا « الانقلابية » و « الثورية » لاداء نفس المفهوم . والمشكلة هي : ـ ماذا يقصد بالثورة ؟ لننظر الى بعض الاجوبة ، يقول احدهم « ان النظرة العربية الحديثة نظرة انقلابية تؤمن بضرورة تحقيق تبديل اساسي في حياة الامة العربية في مختلف النواحي في الاوضاع السياسية ، وفي الاوضاع الاجتماعية وفي الحالة الخلقية والفكرية » . ويقول آخرون « انها أزمة شاملة مركبة لا تحل الا بنسف الواقع العربي القائم من جذوره والقضاء على هذا الوضع الشاذ الذي نعيش فيه ، ووضع اسس ومفاهيم ونظم جديدة تتناول الفرد والمجتمع وتخلق العلائق الاجتماعية بما يتلاءم وطبيعة الوجود القومي العربي ومستلزماته » .

يتضح اذن ان الثورية تعني التغيير الجذري الشامل لاوضاع ومؤسسات أصبحت تناقض سوية الوعي العربي والمرحلة التي يمر بها ، وتعيق انطلاقه لتحقيق الحياة التي يريدها ولتكوين مجتمع عربي حديث .

ومثل هذا الاتجاه انما يتضمن رد فعل للحلول الجزئية وللدعوات الاصلاحية في ناحية او اخرى ، وهو نبذ تناقضات اجتماعية قوية وتحديات داخلية وخارجية تنصب على الوجود العربي .

ومثل هذه الدعوة للتبديل الجذري لم تقتصر على الحركة القومية بل شملت الحركة الاسلامية ايضا مما يدل على انها تعبير عن توثب قوي عام في المجتمع العربي .

ـ التتمة على الصفحة ٤٩ ـ

منشورات

لجنة التأليف المدرسي ـ بيروت

- **المروج :** سلسلة حديثة مصورة في القراءة العربية (ستة اجزاء)
- **مراحل القراءة :** سلسلة جديدة مصورة في القراءة العربية (خمسة اجزاء)
- **الجديد في دروس الحساب :** سلسلة حديثة مصورة في الرياضيات (دفتران لحدائق الاطفال وخمسة اجزاء)
- **الجديد في دروس الاشياء :** سلسلة حديثة مصورة في العلوم (اربعة اجزاء)
- **الجديد في قواعد اللغة العربية :** سلسلة حديثة مصورة في قواعد اللغة العربية (اربعة اجزاء)
- **كيف أكتب :** سلسلة حديثة مصورة في الانشاء العربي (اربعة اجزاء)
- **الجديد في التاريخ :** سلسلة حديثة مصورة في التاريخ ، تأليف الدكتور عادل اسماعيل ـ (ثمانية اجزاء)
- **جغرافية العالم :** للجغرافي الشهير الاستاذ دادلي ستامت (اربعة اجزاء)
- **التعريف في الادب العربي :** سلسلة مستحدثة في الادب العربي حسب المنهج الرسمي الجديد للاستاذ رئيف خوري (جزءان)
- **نصوص التعريف :** عصر الاحياء والنهضة (١٨٥٠ ـ ١٩٥٠) للاستاذ رئيف خوري
- **اعلام الفلسفة العربية :** اوفى المؤلفات في موضوعه، ويقع في ١٠٧٢ صفحة من الحجم الكبير، تأليف الدكتور كمال اليازجي والدكتور انطون كرم
- **الجديد في الخط العربي :** سلسلة حديثة في الخط العربي بقلم الخطاط الاستاذ كامل البابا (خمسة دفاتر)
- **الجديد في الرسم :** (ستة دفاتر)
- **بيوت وازهار :** كتاب في مبادىء المطالعة ، تأليف الاستاذ رشاد العريس .

الانطلاقة العربية

ـ تتمة المنشور على الصفحة ٣ ـ

وهذا الاتجاه يتطلب نظرة شاملة للقومية العربية ، لايمكن ان تنهض بها القومية الرومانتيكية التي سادت حتى الحرب الثانية ، ويفترض مخططا « وان يكن عاما » للاتجاه القومي يثبت امام التحديات الفكرية خاصة ، ويوجب اسلوبا في العمل يناسب الوجهة الثورية . يقول احدهم « لايمكن للقومية العربية ان تنجح الا اذا كانت نظرية للحياة ونظاما للمجتمع . لها رأيها الصريح في الاقتصاد والدين والنظام والاخلاق والانسانية ، لكي تتمكن من مواجهة الفلسفات الجديدة التي تعيش في اوروبا . »

وحين ننظر الى النقطة الاولى نجد محاولات لوضع اسس فلسفية للفكرة القومية من جهة والى رسم وجهتها في نواحي الحياة المختلفة من جهة اخرى . فهناك من حاول ان يستقرىء تاريخ الامة ويستوعب خبراتها التاريخية ليرى الاصول الذاتية للقومية العربية ، ويبعدها بذلك عن ان تكون صدى لقوميات اخرى ، او ان تكون مجرد مرحلة طارئة في التطور . ومثل هذه الدراسات تضع القومية على اسس عميقة تتعدى مجرد الشعور وتبين انها الوعي العربي الذي امتد عبر التاريخ وانطلق في توثبه القوي في العصر الحديث . استمع الى هذا التعريف « القومية من صنع اجيال وقرون ، وهي نتيجة تراكم طويل وتفاعل عميق اوصل الى خلق صفات مشتركة وروابط روحية ومادية بين مجموعة من البشر اصبحت هي الشخصية المعبرة عن هذه المجموعة . » فهي اذن اصيلة في الامة اصالة الامة ذاتها ، وهي ليست مرحلة تؤدي الى غيرها . (وتظهر هذه المحاولات في كتب مستقلة مثل « تطور المفهوم القومي عند العرب » ليوسف صايغ ، « والجذور التاريخية للقومية العربية » لعبد العزيز الدوري ، وفي ثنايا دراسات عامة مثل « النكبة والبناء » لوليد قمحاوي) .

وهكذا نرى ان القومية العربية في طبيعتها وتكوينها تعبير عن ذاتية الشعب العربي ومقوماته في تطوره التاريخي ، وان حركتها هي تعبير عن وعيه واتجاهه للتحرر والبناء في مرحلته الحاضرة .

ومثل هذه الدراسات تجعل الكتاب يؤكدون على المزايا الخاصة التي تميز القومية العربية عن غيرها ، كالتأكيد على انها ثقافية في رابطتها ، انسانية في وجهتها ، ليست عدائية ولا عنصرية ، وينتهي البعض الى التأكيد على وجهتها الاشتراكية .

والنقطة الثانية ـ اي نظام تريده القومية العربية ، او بتعبير ثان، ماهي وجهة المجتمع العربي المقبل ؟ وهنا نرى ـ وسط تباين الاجوبة ـ الاتجاه الى تحقيق الكيان العربي الكبير ، او الوحدة ، والى تطبيق فكرتي الحرية والعدالة ، او الاشتراكية الديموقراطية .

ومن الطبيعي ان يرى الفكر القومي في الوحدة ضرورة للمجتمع العربي المتوثب . وقد شغلت قضية الوحدة جانبا هاما من التفكير القومي بعد التجزئة التي رسمها الاستعمار ، ونتيجة نضج الوعي وسير الاحداث خاصة بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة ، وظهر ذلك في كتب خاصة أو ضمن الدراسات العامة . ومع ان الوحدة امنية قومية رافقت الحركة القومية منذ بدئها ، الا ان التجزئة التي فرضها الاستعمار بعد الحرب العامة الاولى ركزت الجهود على الصراع المحلي وشغلت كل جزء بنفسه، حتى اذا تحررت بعض البلاد العربية ، تبلورت الفكرة كضرورة حياتية في مختلف الميادين خاصة السياسية والاقتصادية . وبعد ان كانت تعتبر نهاية منطقية لسير القومية العربية ، تجدد التركيز عليها ومناقشتها كأمر عملي لا مجرد امنية او تأمل . وهذا يجعل قضية الوحدة تظهر في الفكر العربي على مستويات مختلفة . فالبعض يتحدث عنها دون النظر الى اي اعتبار اخر ويرى مجرد قيامها الهدف الاخير ونهاية الادوار وينظر اليها البعض الاخر كجانب من الوجود القومي الواسع ، فهي في نظرهم ليست مجرد ضم الاجزاء لبعضها ، بل هي جزء من الوجهة الثورية ، او « خلق التفكير والنضال المناقضين لحالة التجزئة ولما اورثته واصطنعته التجزئة من عقلية وعواطف ومصالح سياسية واقتصادية واجتماعية داخل التجزئة » . ومعنى هذا انه يتعذر فصل الوحدة عن التنظيم الكلي للمجتمع العربي ، فهي وجه من وجوه النضال العربي الشامل لاسترداد « الشعب العربي » حريته من الحكم الاجنبي ولاسترداد حريته الداخلية من الطغاة ولاسترداد حياته اللائقة الانسانية من الطبقة المستغلة . هذا ويرى اخرون ان قضية الوحدة مرتبطة باسترداد حرية الشعب العربي من الاجنبي الغاصب ومن المستعمر ، وانها مرحلة قائمة بذاتها ، ومتى تحققت امكن ان تتلوها مرحلة ثانية ، هي مرحلة تنظيم المجتمع العربي .

ولن نناقش هنا صورة المجتمع العربي كما يظهر في الفكر العربي القومي ، ويكفي ان نذكر ان الوجهة السائدة تؤكد على الديموقراطية والاشتراكية جنب الوحدة .

وسنتناول الاشتراكية بعد قليل ، ولا بد من كلمة عن الديموقراطية في الفكر العربي ، ونحن ان استثنينا ماورد من تأكيد عليها « باعتبارها سبيل العدالة السياسية ، او المجال الحيوي لانطلاق الفرد والجماعة » في برامج بعض الاحزاب ، فان الكتابات عنها محدودة الا في السنين الاخيرة . ولعل تجارب السنين الاخيرة في بعض البلاد العربية ، نبهت المفكرين الى ثغرة مهمة ، اذ كان الفكر يتجه الى التحرر ويرى في الاستعمار والتبعية اساس كل بلاء وان رفع هذا الكابوس سيعيد الامور بصورة تلقائية الى حياة الحرية والازدهار . ولكن الاحداث اظهرت اهمية التأكيد على الديموقراطية وخطر التهاون بها . فكثرت الكتابات عن الحرية وعن الديموقراطية وتأكد الاتجاه على ضرورة الحرية الشاملة للبناء الدائم. ويبدو ان الديموقراطية البرلمانية التي تؤكد سيادة الشعب في تصريف شؤونه وفي محاسبة ممثليه هي الوجهة الغالبة في الفكر العربي بالنسبة لمفهوم الديموقراطية . ويؤكد البعض ان سيادة الشعب تتمثل في احزابه ومنظماته وهيآته التي يكونها لنفسه ، بينما يشكك البعض الاخر في فكرة تعدد الاحزاب ، او في جدواها في هذه الفترة على الاقل . وهناك فئة تمثل اتجاها غير ديموقراطي ، تريد الحرية لنفسها مع تقييد حرية الاخرين او منعها ، وهذا ان دل على شيء فانه يشعر بعدم فهم الحرية ، او بعدم الايمان بها . ولن نغفل هنا من يقول بان الروح الديموقراطية اصيلة في العرب ، وان « الديموقراطية العربية » كما ظهرت في صدر الاسلام تعد نموذجا حيا للديموقراطية ، وان الاخذ بمبادئها واسسها ان هو الا استيعاب لتراث حي .

وان نظرنا الى الاشتراكية ، نجد من ينادي بها كوجهة قائمة بذاتها يعمل لها بمعزل عن حركة القومية العربية ، ويرى تعارضا في الوجهة بينها وبين الوجهة القومية وخاصة في موقف الاخيرة من الوحدة ومن التراث العربي ، وهذه نظرة فئات اخذت الفكرة من الغرب واعجبت باثارها وبشرت بها . ونجد من يأخذ بها ضمن نطاق القومية العربية . وللوجهة الاشتراكية بذورها منذ مطلع القرن ، ولكن نطاقها اتسع في السنوات الاخيرة نتيجة توسع الوعي واتجاه الانتباه الى المشاكل الاجتماعية والاقتصادية مع المشكلة السياسية كل ذلك بضوء الواقع العربي .

وحين ننظر الى الاشتراكية في الفكر العربي نرى خطوطا عامة نظرية ، جنب محاولات قليلة لوضع خطوط اكثر تفصيلا، ونرى محاولة عملية للتطبيق في الجمهورية العربية المتحدة . ويبدو في كتابات القوميين تباين في الموقف من الاشتراكية بين من يؤمن بها على انها ضرورة ملحة يفرضها الواقع العربي وتصدر عن طبيعة القومية العربية ، وبين من يرى انها ضرورية على ان تكون خطوة ثانية تسبقها خطوة اولى وهي التحرر « من الاستعمار » والثأر « القضاء على اسرائيل » والوحدة

وبين فئة لاتميل اليها ، ولكن الاتجاه العام الغالب هو نحو قبولها .

ويتمثل الاهتمام بالاشتراكية في عدة كتب مترجمةمثل « الاشتراكية الفابية » و « مستقبل الاشتراكية » و « الثورة القادمة » و « الاشتراكية التي غدروا بها » . وفي تآليف عربية مثل « دراسات اشتراكية » و « الاشتراكية والديموقراطية » و « ازمة اليسار العربي » و « الخبز مع الكرامة » و « نحو اشتراكية عربية » و « الاشتراكية العربية » و « العدالة الاجتماعية وحقوق الفرد » هذا عدا تناولها ضمن نطاق الدراسات العامة مثل « معالم الحياة العربية الجديدة » . وهي محاولات مفيدة ولكنها تتلمس طريقها بكثير من التعميم والتأملات النظرية ، في نطاقها المفترض لها . ولذا تتجدد المحاولات بين حين واخر لتوضيح مفهومها في الاطار القومي ، وهي على كل حال تتناول الاشتراكية الديموقراطية بشكل أو باخر . ولننظر الى بعض الاراء .

يرى البعض ان « ظهور التفكير الاشتراكي (كان) تعبيرا عن تقدمية الفكرة العربية منذ البداية » ، بل يذهبون الى ابعد من ذلك بالتأكيد على ان الاشتراكية اصيلة في القومية العربية وانها وجهها الصحيح عندما تتضح ، فيقولون « ان الاشتراكية ليست طارئة على القومية العربية ، فالقومية العربية عندما تعي ذاتها وعيا عميقا وصحيحا، وعندما تتهيأ الشروط لكي تنضج النضج الصحيح وتعبر عن نفسها ، نجد ان الاشتراكية شيء اصيل فيها » .

ويرى اخرون انها ظاهرة لاتساع الفكرة القومية في تطورهاالحديث ويقولون « الاشتراكية هي احدى التجارب الحية في هذه المرحلة من تاريخنا القومي » .

وتوسم الاشتراكية لدى القوميين بانها اشتراكية عربية ، ولكن مدلول التسمية ليس واضح المعالم كما ينتظر . فهل المقصود بها الاشتراكية الديموقراطية حين ينادي بها عرب ، حكومات او افرادا ، ام المقصود بها الاخذ من التراث العربي كمادة لهذه الاشتراكية ، ام انها الاشتراكية التي ستتبلور في البلاد العربية بعد محاولات عملية في التطبيق ؟ هنا نرى تباينا في التفسير حتى بين الجماعة الواحدة .فيرى البعض انها الاشتراكية المنبثقة عن حاجات واوضاع المجتمع العربي المتفاعلة معه . « فالاشتراكية العربية انما تنبع من صميم بديهيات ومستلزمات الوجود القومي العربي ، وهي نتيجة طبيعية للفهم الواعي الاصيل لمستلزمات وبديهيات هذا الوجود ، او النظرة المخلصة الاصيلة للحياة القومية والانسانية . فهي تمثل درجة متفوقة من وعي الشعب العربي المتزايد لشخصيته القومية ، ووعيه لاسس وبديهيات وجوده القومي ووحدته القومية » . فهي اذن نظام يتبلور في البلاد العربية بالاخذ الواعي للمفاهيم الاشتراكية نتيجة بلوغ الوعي القومي مرحلة متقدمة .

ويفسر غيرهم هذا المفهوم تفسيرا اخر . فالاشتراكية العربية هنا تتضمن شيئين :

« ١ ـ انها اشتراكية ملائمة لظروف وحاجات المجتمع العربي »

« ٢ ـ انها مرتبطة ارتباطا وثيقا بقوميتنا العربية فهي في تفاعل مع هذه القومية وهي جزء اصيل منها » . وعلى هذا الاساس فان القومية العربية يجب ان تكون اشتراكية لكي تنجح ، اي مبنية على النظام الاشتراكي المستوحى من ظروف المجتمع العربي وشروط حياته ومرحلة تقدمه وحضارته . وما دام اصحاب هذا الاتجاه يؤمنون بان « القومية العربية من صنع اجيال وقرون ، وهي نتيجة تراكم طويل وتفاعل عميق » . فاننا نفترض ان تكون للاشتراكية جذورها في هذا التفاعل العميق ، وان من الضروري الكشف عن هذه الجذور . ولكن اصحاب هذا الرأي لم يحاولوا متابعة هذه النقطة على أهميتها في توضيح الوجهة . ويبدو لي ان مثل هذه المحاولة تتطلب فحص بعض التجارب التي مرت بالامة ، واستجلاء بعض المثل والمبادىء والاتجاهات التي اثرت في تكوينها الحضاري وفي نظرتها الى الحياة .

ولا نريد ان نتطرق الى محاولات مضطربة في توضيح الاشتراكية عامة ، او الاشتراكية العربية بالذات ، فلا محل لذلك هنا .

وهناك تفسير آخر للاشتراكية العربية ، وهو أنها تأخذ بالمبادىء والمثل الاسلامية جنب المفاهيم الاقتصادية الاجتماعية ، فهي اشتراكية تنطوي على جانب اسلامي ومثل انسانية ويصفها اصحابها بانها « شريعة العدل وهي في نفس الوقت شريعة الله » . والقرآن ، كما قال قائلهم « يدعو الى الاخوة والانسانية ويفصل مبادىء العدالة الاجتماعية على اساس من التراحم والتكافل الاخوي والايثار على النفس في سبيل النفع العام للجماعة من غير طغيان على حرية الفرد ولا اذلال له ولا انكار لذاتيته » .

وهناك تفسير اسلامي للاشتراكية ، او عرض للاشتراكية الاسلامية. ولا بد ان نبين ان وجهة الاخوان المسلمين تنطوي على بعض المفاهيم الموازية ، اذ انهم ارادوا تنمية الثروة القومية وحمايتها وتحريرها والعمل على رفع مستوى المعيشة وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الافراد والجماعات والتأمين الاجتماعي لكل مواطن وتكافؤ الفرص للجميع . وهنا نلاحظ انها الاشتراكية التي تعرض منبثقة عن مبادىء الاسلام ونظرته للفرد والمجتمع ، وانها النظام الامثل ، فهي ليست صدى لنظام غربي وهي تختلف عن الاشتراكية الغربية في انها تقوم على أسس اسلامية خالصة .

والاشتراكية العربية تختلف عن غيرها ، « فلا هي شرقية مندفعة في شرقيتها نحو اليسار حتى تكفر بالمثل والاديان وتؤمن بالمادة دون غيرها ، ولا هي غربية تنبع من الطبقية أو الحزبية » .

ويرى بعضهم ان المشكلة في الوطن العربي هي مشكلة القوى التي تعمل ضد العدالة الاجتماعية في الداخل والخارج وضد القومية ، وعن هذا الوضع انبثقت الاشتراكية . يقول احدهم « فنحن طرحنا المشكلة القومية كوحدة لا تتجزأ ولم نأخذ منها جزءا فقط كما فعلت الماركسية حين اخذت الناحية الاقتصادية .. كمشكلة وطن مجزأ مستعمر في بعض اجزائه ، ـ والتجزئة هي اكبر عائق في طريق نهضته ، وهي مشكلة وطن متخلف في شتى النواحي ، في الفكر والاقتصاد والسياسة ، وفي كل شيء ، ويحتاج الى ان يبني فيه كل شيء من جديد » .

ولتوضيح هذا الاتجاه ، نجد من يقول « ان الاشتراكية العربية ليست مجرد نظام اقتصادي او سياسي ، وانما هي طراز كامل وشامل في الحياة هدفها الاول والاخير تحرير طاقات الانسان العربي وفك اغلاله ليستطيع ان ينتج حقا ويبني حضارة امته ويسهم في الحضارة الانسانية » . وبهذا تبدو الاشتراكية نظاما شاملا للقومية ووجهة انسانية لا طبقية .

لذا فان الاشتراكية تقترن بالديموقراطية وترتبط بها ارتباطا عضويا ، ولا يمكن ان تتحقق الاشتراكية دون ديموقراطية . وفقدان الديموقراطية يؤدي الى تحكم لا يقدر اثره ، يمنع من تفتح امكانيات الفرد والجماعة . بل ان البعض يذهب الى أن تكون ملكية الانتاج للشعب كمجموع تراقبه منظماته وتشرف الدولة على تنظيم هذه المراقبة لئلا تتحكم الدولة في الافراد او المجموع .

وينظر البعض الى العدالة الاجتماعية كضرورة للوجود القومي ، ويرون انها تتألف من شقين احدهما العدالة الاقتصادية التي تتحقق عن طريق الاشتراكية . فيقولون ان الاشتراكية بتحقيقها العدالة الاقتصادية، والديموقراطية بتحقيقها العدالة السياسية هما الركيزتان الاساسيتان لايجاد العدالة الاجتماعية والمساواة . وفي هذا نرى ان الاشتراكية جزء من كل ، في حين ان النظرة السابقة لهذه تعتبر الاشتراكية كلا شاملا .

وقد وجدت الاشتراكية تطبيقا عمليا في الجمهورية العربية المتحدة واعتبرت الجهود المؤدية اليها « معركة الحرية الاجتماعية » ، وقد عرضت على انها ذات جناحين من الكفاية والعدل . و« الكفاية تعني زيادة الانتاج في جميع المجالات » بينما العدل « توزيع الدخل القومي على ابناء الوطن دون ما استغلال او حرمان » . ومن هذا يتبين مفهوم «اشتراكية » . والمفهوم الواضح البسيط للاشتراكية » هو انه لا بد ان

يكون الدخل القومي شركة بين المواطنين كل بقدر جهده الحقيقي في تحقيق هذا الدخل القومي » هذا مع تكافؤ الفرص للجميع . وهي على كل لا تزال في دور التطبيق ، ومن المنتظر ان يصحب ذلك اعادة النظر في بعض التخطيط ، وسيكون لها اثرها البعيد في المجتمع العربي .

ان من تناولوا الاشتراكية العربية ببعض التفصيل قلة قليلة ، ولكن الخطوط العامة بينة . ويبدو ان الاشتراكية تهدف ، نظريا على الاقل ، الى ضمان حد ادني من مستوى المعيشة ، وتحديد الدخل وتشجيع النشاط الفردي على ان لا يصحبه استغلال ، وتحديد الملكية الزراعية ، وسيطرة الدولة على بعض المشاريع ذات الطابع او النفع العام ، وتأميم بعض مصادر الثروة والشركات ، ووراء كل ذلك زيادة في الانتاج وعدالة في التوزيع .

ولكني مع ذلك لا أرى الدراسات الجدية العميقة التي تناسب هذا التحمس بأهمية الاشتراكية الديموقراطية ، ولا أجد المحاولات التي تبين بصورة دقيقة تفاعل المفاهيم الاشتراكية بواقع المجتمع العربي . فهل نعتبر هذا تخلفا في الفكر امام الوعي والتطور العملي ؟ قد يكون ذلك ، ولكننا نأمل ان يكون في التطبيق العملي حافز جديد لدفع المفكرين الى تقدير أعمق لمسؤوليتهم في هذا المجال .

وهناك مشكلة عملية تتطلب الدراسة والتحليل ، وهي كيف نحدد صلة الاشتراكية بالديموقراطية في التطبيق العملي بضوء واقعنا الحالي، او بالاحرى كيف نحقق الاثنين في آن واحد دون ان ينحرف السير الى جهة على حساب الاخرى . وعلى تحديد هذه المشكلة وحلها يتوقف نجاح الاشتراكية العربية الى حد كبير ، ومعها نوع البناء الذي نريد .

وحصل تطور في الاتجاه الاسلامي في هذه الفترة ، فقد أعلن بعض ممثليه ان المجتمع والتراث أصبحا مهددين بالموجة الغربية ، وقالوا انه يتعذر مجابهة نظام (كنظم الغرب ومؤسساته) الا بنظام اخر. ونظروا الى القومية العربية على انها قوة سياسية ، وقالوا ان ليس هناك نظام الا النظام الاسلامي . وكان أثر هذا الاتجاه قويا بين الجماهير التي تركت لنفسها خاصة حيث تكون موجة التقليد للغرب قوية (كما كان الحال في مصر حتى منتصف القرن) او حيث يكون التحدي الداخلي (كتحدي الشيوعية) حادا .

وهكذا اكتسب الاتجاه الاسلامي شمولا بدعوة اصحابه الى النظام الاسلامي . ويرى ممثلو الاتجاه ان الاسلام حي متطور ، وان فيه من المبادىء والنظم ما يصلح لكل عصر ، بل ما هو أسمى من كل النظم الحديثة .

وحين ننظر الى كتاباتهم نرى نقد مادية الغرب ، وحملة على قيمه المنهارة وتنديدا بأولئك الذين يقلدونه ، ونرى من ناحية ثانية تركيزا على مفاهيم الحرية والكرامة في الاسلام وعلى الشورى في الحكم وعلى العدالة الاجتماعية .

ولم يعد الموضوع مجرد محاولات لبيان ملاءمة الاسلام للحضارة الحديثة ، واختفت الروح الاعتذارية في عرض اصالة الاسلام بالمقارنة بغيره ، او ضعفت ، بل تركز الاهتمام على عرض وجهة الاسلام في التنظيم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والخلقي ، وحلت محل الجمعيات الاسلامية في الثلاثين ، احزاب اسلامية ، وهي ظاهرة تعبر من ناحية الشكل عن هذا التحول .

وتتمثل هذه الوجهة في اقوال بعض حملة اللواء الجديد ، يقول احدهم « الاسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعا ، فهو دولة ووطن ، او حكومة وأمة ، وهو خلق وقوة او رحمة وعدالة ، وهو ثقافة وقانون او علم وقضاء ، وهو مادة وثروة او كسب وغنى ، وهو جهاد ودعوة او جيش وفكرة ، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة سواء بسواء » ، وهو بهذا يعرض النظرة الاسلامية الشاملة . ويقول آخر « وليست وظيفة الباحث الاسلامي حين يعرض للحديث عن النظام الاسلامي ان يلتمس له المشابه والموافقات مع أي نظام آخر قديم او حديث .. وطريقهم الصحيح ان يعرض أسس دينهم لذاتها ، وبايمان كامل بأنها أسس كاملة سواء وافقت جميع النظم الاخرى او خالفتها جميعا . ومجرد تطلب التأييد لنظم الاسلام من مشابه وموافقات مع النظم الاخرى هو احساس بالهزيمة .. لا يقدم عليه باحث مسلم » . وهنا نرى الثقة المطلقة والنظرة الايجابية التي تحل محل النظرة الاعتذارية من قبل .

ونلاحظ في هذه الكتابات رجوعا الى الاسلام الاول ، متمثلا في القرآن والحديث ، وعودة الى دور الرسالة وفترة الراشدين وتفسير السوابق لاعطاء الاساس التاريخي العملي .

وهنا يرد السؤال : هل هذه الاراء والتفسيرات والخطط للنظام الاسلامي مجرد اجتهادات فيها جانب نظري وامكانيات عملية منبثقة من دراسة الاسلام ام انها متأثرة بالاراء الحديثة وبذلك تعطى هيكلا فيه تطعيم الحديث بالموروث في اطار اسلامي ؟ يبدو لي ان الموقف يتدرج بين من يحاول عرض المفاهيم الاسلامية لذاتها وبين من يحاول ان يجد في الاسلام ما يعزز تطورات حديثة .

يتوخى الاتجاه الاسلامي هدفين اساسيين ، عبر عنهما احدهم كما يلي :

« (١) ان يتحرر الوطن الاسلامي من كل سلطان اجنبي ((و)) (٢) ان تقوم في هذا الوطن الحر دولة اسلامية حرة ، تعمل باحكام الاسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن مبادئه القويمة » .

وعبر البعض عن هذا بلهجة قوية فقالوا لا يكفي التحرر السياسي، بل لا بد من التحرر من الانظمة والقوانين والثقافة والفلسفة التي وضعها او بشر بها المستعمر .

وليس هذا مجل عرض تفاصيل الاراء ، بل يكفي ان نشير الى الخطوط العامة في هذا الاتجاه . واولها نظام الحكم ، والاتجاه هنا الى الخلافة ، وهم « يجعلون فكرة الخلافة والعمل لاعادتها في رأس مناهجهم لانهم يرونها رمز الوحدة الاسلامية ومظهر الارتباط بين امم الاسلام » . والخلافة بالانتخاب ، اذ ان السلطة في الاصل للجماعة ، والخليفة ينوب عن الامة في ممارستها . ويستند الحكم الى الشورى التي تمثل الامة ، وعلى الخليفة ان يلتزم بالشرع لبقائه . والشرع يضمن للفرد حرياته كاملة ، حريته السياسية في ابداء الراي ونقد السلطة ، وحريته المدنية او حرية العمل . يقول احدهم « ليست الحرية مقصورة على نوال الشعوب حقها في الاستقلال ، فتلك هي الحرية السياسية ووراءها حرية الامة في تفكيرها وثقافتها واتجاهاتها الانسانية الكريمة ». وتهدف سياسة الحاكم الى تحقيق العدالة وصون الكرامة .

وتلقى الناحية الاجتماعية الاقتصادية اهتماما كبيرا في كتابات الاسلاميين ويذكر منها (العدالة الاجتماعية في الاسلام لسيد قطب ، واشتراكية الاسلام لمصطفى السباعي ، والاقتصاد في الاسلام للنبهاني، والنظام المالي في الاسلام للخطيب) .

ويتبين من هذه الكتابات التأكيد على حرية التملك والعمل ، والتكافل الاجتماعي ، والعدالة في التوزيع .

ويمكننا ان ننظر الى كتابين للتمثيل ، أولهما «العدالة الاجتماعية» لسيد قطب وثانيهما « اشتراكية الاسلام » للدكتور مصطفى السباعي ، وفيهما نرى معالجة الناحية الاقتصادية بضوء النظام الاسلامي الكلي .

ويبدأ سيد قطب بأن الاسلام يمنح الحرية الفردية والمساواة ، ويقرر مبدأ التملك الفردي . ولكن الفرد أشبه بوكيل عن الجماعة في هذا الحال وحيازته له انما هي وظيفة اكثر منها امتلاكا . فالحال حق للجماعة وهي مستخلفة فيه لله الذي لا مالك لشيء سواه . وبقاء هذه الوظيفة متصل بصلاح التصرف (قارن بعبد القادر عودة ـ الاسلام واوضاعنا السياسية ، حيث يبين أن المال لله ، والبشر يملكون حق الانتفاع به ، والمال مسخر للبشر جميعا ومشاع بين العباد وهذا برأيه يعطي الجماعة حق التحديد للملكية ، وان تأخذ المال من مالكه وان تنظم طريقة الانتفاع به) . ويذكر مبدأ آخر ، وهو حق السلطة في الاخذ من الاغنياء للفقراء والمحتاجين والمصالح العامة ، وهنا يعزز ذلك من الواقع

التاريخي للاسلام ليتوصل الى مبدأ رعاية الاسرة والتأمين العام لكل عاجز ومحتاج ومبدأ التكافل . ثم يشير الى أهمية نظام الارث في تحديد التصرف في الملكية وفي تفتيت الثروة ، والى حدود تنمية الملكية بمنع الغش والربا واحتكار ضرورات الناس ، ويتحدث عن الاموال الشائعة التي لا يجوز احتجازها للافراد .

وهو يلخص اراءه بقوله « فخلاصة الحقيقة عن طبيعة الملكية الفردية في الاسلام ان الاصل هو ان المال للجماعة في عمومها ، وان الملكية الفردية وظيفة ذات شروط وقيود ، وان بعض المال لا حق لاحد في امتلاكه ، وان جزءا منه كذلك يرد الى الجماعة لترده على فئات معينة فيها هي في حاجة اليه لصلاح حالها وحال الجماعة معها » .

أما الدكتور السباعي فيقول « لقد سميت القوانين والاحكام التي جاءت في الاسلام لتنظيم التملك وتحقيق التكافل الاجتماعي باشتراكية الاسلام » ثم يبين انه اتخذ هذه التسمية لانه لا يعتقد ان الاشتراكية (موضة) ستزول ، « بل هي نزعة انسانية تتجلى في تعاليم الانبياء ومحاولات المصلحين منذ أقدم العصور » .

وهو ينظر لهذه الاشتراكية نظرة كلية لانها « تحقق لنا كل ما نحتاج اليه من اصلاح لاوضاعنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية » ولذا يتحدث عن الحرية في الاسلام ، الحرية السياسية والمدنية وكرامة الاخاء الانساني .

ويتدرج بعدها ليبين ان لكل فرد حق العمل « لكل انسان بحسب طاقته وجهده وكفاءته » وان العمل هو اهم وسائل التملك ، ويرى ان للعامل حقا في تأمين نفقاته العائلية ، كما ان قوانين التكافل الاجتماعي في الاسلام تضمن « حق المواطن في تأمين معيشته وكرامته عند العجز والمرض والشيخوخة » كما تضمن له حق حماية اسرته بعد وفاته ان مات من غير ثروة .

ثم يبين ان الملكية الفردية مقيدة بمصلحة الجماعة ، وأنه يلزم تحديد الملكية ان اقتضت مصلحة الجماعة .

ويبين بعد ذلك « انه اذا لم تكف الزكاة والقوانين المالية الاخرى لسد حاجات التكافل الاجتماعي ولم يكن في بيت المال ما يقوم بتلك الحاجات ، فقد انتقل واجب القيام بها الى اموال الناس حيث يؤخذ منها ما يسد تلك الحاجة مهما استنفدت من تلك الثروات » .

وهو يتطرق الى التأميم ويؤكد أهميته ويقول « كل ما كان ضروريا للمجتمع لا يصح ان يترك لفرد أو أفراد تملكه اذا كان ينشأ عن احتكارهم له استغلال الجهود اليه ، بل يجب أن تشرف الدولة على استثماره وتوزيعه على الجمهور » .

من هذا يتضح ان الاتجاه الاسلامي التفت الى النظم الاقتصادية في العصر الحديث ، والتفت الى مستوى الوعي الموجود وحاول بكثير من التفسير ومن الاجتهاد أن يبين حلولا فيها اجابة لهذه المشكلات .

ولا بد أن نشير اخيرا الى الموقف من القومية العربية . وهنا أرى انه يزداد حدة ، وان رد الفعل شديد أحيانا خاصة تجاه من يدعو الى العلمانية .

فيرى بعضهم أن يعمل كل انسان لوطنه وأن يقدمه على سواه ويؤيدون بعد ذلك الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية ويفهمونها بانها عربية اللسان .

ويرى غيرهم ضرورة اعتبار العربية لغة الاسلام وأهمية « وجود الطاقة العربية ممتزجة مع الطاقة الاسلامية امتزاجا كليا لدى كل امة تتخذ الاسلام رسالتها ولو كانت غير الامة العربية .. » لذا « كان على العرب ان يكونوا العامل الاساسي في حمل الرسالة الاسلامية حتى تبقى الطاقة العربية مندفعة مع الطاقة الاسلامية » .

ولكن لا ننسى ان كل هذا يجب ان يكون في اطار الاسلام وعلى أساس النظام الاسلامي كما يفهمه الاتجاه الاسلامي ، ولذا فانه لا ينتظر أن يسير الخطان على نفس الاسس ، او ان يقبل الاتجاه الاسلامي المخطط القومي دون ذلك .

واذا كان الاتجاه الاسلامي يرى الصلاح في الاسلام وحده ، فان العلوم ضرورية والامم بحاجة الى القوة ، والعلم بأدواته ومخترعاته ومكتشفاته يحقق ذلك ، « والاسلام لا يأبى العلم بل يجعله فريضة من فرائضه » .

وانصب جانب من الفكر القومي على الشيوعية في البلاد العربية . ولم يكن موقف الشيوعية المحلية واحدا من القضايا العربية ، بل كان بين تأييد ومقاومة خلال الفترة التي تلت الحرب الثانية . أن نشاطها وفعالياتها توسعت في هذه الفترة فقد جاءت تنادي بالثورية ، وتدعو الى احداث تبدلات اقتصادية اجتماعية جذرية . وقد وجدت في التفاوت والظلم السائد ، وفي التخلف وفي تركز النظام الاقطاعي ما ساعد على انتشار دعوتها ، وعلينا أن نتذكر أن قادة الحركة لم يكونوا من الفقراء بل من المثقفين من الطبقة المتوسطة .

وهم ينسبون التخلف بالاضافة للاستعمار الى التراث ، ويذهبون الى درجة تحدي المجتمع في مثله وذاتيته . ولكن ضعفهم الاساسي هو في انهم يقلدون ، فلم يتمكنوا من تكييف النظام الذي يقلدونه لظروف وأوضاع مجتمع يختلف كليا عن الاصل ، كما انهم فشلوا في وضع برنامج يعبر عن مفاهيمهم الاقتصادية .

ولما توافرت للشيوعية فرص للتعبير عن ذاتها لم يبد منها الا الارهاب وكبح الحريات واللجوء الى أساليب من العنف لم نسمع بمثلها ، كما انها حاولت ان توجه التعليم وجهة تشوه التاريخ والارث ، وتطمس كل فكرة عربية ، وهي وان ساعدت على تركيز الاهتمام على المشاكل الاقتصادية الا ان دورها كان سلبيا .

لقد كانت المعركة الفكرية قوية مع الشيوعية المحلية في السنوات الاخيرة ، فقد اعتبرها ممثلو الاتجاه الاسلامي حركة الحادية تتنافى والاديان السماوية ، وهي لذلك تهدد الاسلام وتعتبر الدين أفيون الشعوب فصدوا تيارها بكل سبيل حتى أفتوا بتحريمها .

ونظر اليها حملة الفكرة العربية على انها في الاساس حركة تدعو الى طمس الذات في أحد تيارات الحضارة الغربية ، وانها تتضمن نبذ التراث واهمال القيم والمثل الخلقية العربية ، كما أنها تطمس الحرية وتفترض القولية في اطر حديدية . ويتبين من الكتابات الكثيرة حولها شجب عدوانها على الفكرة العربية وخاصة بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية العراقية ، ووقوفها في طريق الوحدة العربية وتنشيطها لبعض الاتجاهات الجانبية ، وتبينها لنظرية الاوضاع المحلية والوحدات الاقليمية على حساب التضامن والوحدة العربية .

وهوجمت الشيوعية المحلية على انها تدعو للانحياز ، في الوقت الذي يهاجم فيه الاستعمار والتبعية وتتجه البلاد العربية المتحررة الى الحياد الايجابي .

وكان للمعركة الفكرية مع الشيوعية أثرها في الانطلاقة الثقافية ، فقد أدت من جهة الى تعميق الوعي القومي ، ودفعت الى اعادة النظر في بعض المفاهيم الفكرية والتخطيطية للحركة القومية لتوضيح وجهتها ولوضع أسس فلسفية أقوم لها ، وأدت الى زيادة الاهتمام بالنواحي الاقتصادية ، كما أنها جعلت المفكرين يتجهون بصورة اوسع الى الجماهير في كتاباتهم وفي جهودهم ويحسون باهمية الجهد التثقيفي الفكري الواسع بعد ان ظن البعض ان مجال الحديث النظري انتهى وان الدور للعمل .

* *

هذا العرض الموجز يبين مدى التوثب الثوري ونطاقه من جهة ويكشف عن ثغراته من جهة أخرى . واول ما نلاحظه تخلف الفكر العربي عن سير الاحداث ، اذ لا يزال طابع الفكر حافلا بالتعميمات وبالمفاهيم

النظرية التي لا تعطي وجهة واضحة ، ولا تتناول الجوانب الحيوية للموضوع ، وهذا يفسر الكثير من القلق والتباين في الفكر العربي .

لقد اندفع الوعي الثوري بقوة وهذا يتطلب تجاوز الاسس النظرية العامة الى مخطط ينتظم التوثب ويوجهه لتحقيق البناء ، وهذا بدوره يوجب دراسة الاوضاع بدقة واختبار الاراء بضوء الواقع ليكون التخطيط على أسس متينة .

ومن هنا ننطلق الى أمثلة خطيرة من التخلف ، فقد طبقت الاشتراكية عمليا ، ولكنا لا نجد الدور القيادي للفكر ، بل ان الاشتراكية العربية كمخطط لم تظهر فيما نرى من كتب ومقالات .

وهناك مشكلة الديمقراطية ، وهي تتصل عضويا بالاشتراكية العربية ، فهي اشتراكية ديمقراطية . وهنا يتخلف الفكر العربي بصورة واضحة . فكيف تحقق الاشتراكية الديمقراطية دون ان نتعرض لتحقيق جانب على حساب الاخر . لقد اقتصر الفكر على تمجيد الديمقراطية ، دون ان يساهم جديا في توضيح سبيل تحقيقها في التجربة الاشتراكية، ومعنى ذلك ان يتعرض التطبيق لمشاكل وعقبات وربما لبعض الانتكاس نتيجة هذا التخلف .

وان نظرنا الى مفهوم الوحدة نرى بعض الاضطراب ، وقد يكون ذلك ناشئا عن عدم التفهم الدقيق لما يعترض سبيلها من عقبات ومشاكل من جهة ، ولما يتطلب تحقيقها من تضحيات وجهود مشتركة ، اضافة الى ما يفترضه قيامها من أطر فكرية وعملية جديدة .

لقد سبقتنا الاحداث في سيرها المندفع للامام ، وفي ردتها احيانا ، وستتعرض لهزات وانتكاسات ان لم نتبين السبل ونحدد المخططات العملية لانتظام التوثب الثوري العربي .

والى جانب هذا نجد ثغرة اخرى في توثبنا الفكري ، هي في تحديد الموقف من طبيعة المجتمع الذي نريده ، فقولنا ان الاتجاه هو نحو تكوين مجتمع لا شرقي ولا غربي بل عربي أصيل لا يكفي ، وانما يبقى كثير من التساؤل : ما هو موقفنا من الحضارة الغربية ؟ هل نستطيع التجزئة لننتقي ام ان الحضارة كل متماسك ؟ وهل مجال الخيار أمامنا بهذه البساطة والسعة ، أم اننا قطعنا اشواطا توجب كثيرا من التعمق والتحليل ؟ وبعد هذا هل أخذنا بالطريقة العلمية والروح العلمية وهل فهمنا بعمق مقومات الحضارة الغربية لنتخذ منها موقفا واعيا ؟ وهل يمكننا في هذا العالم المتشابك أن نتحكم في التيارات التي تمر والمؤثرات التي تنتج عن الاحتكاك والاتصال الثقافي ؟

يبدو لي أن تحديد موقفنا من التراث قضية أساسية ينبغي تناولها قبل محاولة اتخاذ موقف من الحضارة الغربية ، وهذا يتطلب منا ان ننظر الى هذا التراث نظرة واعية لنميز التراث الحي ونتفهمه ، نريد نظرة مفتوحة الى تراثنا تفحص جوانب الحركة والقوى الدافعة ونتاج العقل المتوثب والفكر البناء . نريد ان نرى القيم والمقومات التي تميز الامة وتحفظ ذاتها ليكون التراث قوة في انطلاقنا الى الامام . ونريد فلسفة تربوية تكون الاجيال التي تعي ذاتها وتساهم في بناء المجتمع العربي الجديد . ونريد جامعات تكون موطن بحث وابداع وخلق . نريد ان نبتعد عن التقليد بكل انواعه ونتفهم النظرة العلمية وأسس البحث العلمي لنجعل منها قوة في توثبنا الفكري وقوة في البناء في مختلف الحقول .

ونريد ان يكون نشاطنا في ميادين الاجتماع والسياسة والاقتصاد متصلا بقيمنا الانسانية ومعبرا عنها .

ونريد بعد هذا نظرة مفتوحة لنتاج البشرية ، لاننا متى وثقنا بذاتنا فالخير كله في ان نتناول هذا النتاج بذهن مفتوح بلا اكراه ولا تقليد ولا تعصب ضيق ، فنحن نتحمل مسؤولية تكوين المجتمع الحديث ، ونتحمل مسؤولية مساهمته في الحضارة البشرية ، ولا خير فينا ان لم تكن لدينا رسالة حضارية نحملها في بنائنا الجديد .

بغداد — عبد العزيز الدوري

سلسلة المسرحيات العالمية

سلسلة جديدة تقدم فيها دار الاداب مجموعة رائعة من اشهر المسرحيات العالمية التي وضعها كبار كتاب المسرح

صدر منها :

١ ـ البغي الفاضلة وموتى بلا قبور

بقلم جان بول سارتر

ترجمة الدكتور سهيل ادريس والمحامي جلال مطرجي

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٢ ـ ماريانا

تأليف فديريكو غارسيا لوركا

ترجمة شاكر مصطفى

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٣ ـ هيروشيما حبيبي

تأليف مرغريت دورا

ترجمة الدكتور سهيل ادريس

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٤ ـ لكل حقيقته

تأليف لويجي بيراندللو

ترجمة جورج صرابيشي

الثمن ٢٠٠ ق.ل

٥ ـ تمت اللعبة

تأليف جان بول سارتر

ترجمة مجاهد ع. مجاهد

الثمن ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب ـ بيروت